بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة لفضيلة الشيخ الدكتور أحمد سامر القباني

سلسلة خطب التغيير ٧

ذكر الرحمن يقيك من الشيطان

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، حمداً لك ربي على نعمائك، وشكراً لك على آلائك، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده، وأشهد أن مُحَمَّداً ورسوله، صفيه من بين خلقه وحبيبه، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

وبعد عباد الله، فإني أوصيكم ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته، وأحذركم ونفسي من عصيانه ومخالفة أمره، وأستفتح بالذي هو خير.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيد﴾ [الحج: ١-٢] .

إِلهِي إِنْ يَكُن ذَنبِي عَظِيمَاً ... فَعَفوُكَ يَا إِلَهَ الكَونِ أَعظَمْ

فَمِمَّنْ أَرتَجِي مَولايَ عَطفَاً ... وَفَضلُكَ وَاسِعٌ لِلكُلِّ مَغنَمْ

تَرَكتُ النَّاسَ كُلَّهُمُ وَرَائِي ... وَجِئتُ إِلَيكَ كَي أَحظَى وَأَنعَمْ

فَعَامِلنِي بِلُطفِكَ وَاعفُ عَنِّي ... فَإِنْ تَغضَبْ فَمَنْ يَغفِر وَيَرحَمْ

اللهم ارحمنا برحمتك الواسعة يا الله، وعمنا جميعاً بفضلك الكبير، اللهم إني أعوذ بك من التكلف لما لا أعلم، كما أعوذ بك من العجب بما أعلم، وأعوذ بك اللهم

من السلاطة والهذر، كما أعوذ بك من العِيِّ والحَصَر، أعذني ربي من حَصَر وعيٍّ، ومن نفس أعالجها علاجاً.

وبعد أيها الإخوة المؤمنون: ما زلنا وإياكم في الحديث عن التغيير، وهو أحد موضوعات المنظومة الأخلاقية ومشروع فضيلة، هذا التغيير الذي يتحتم على كل واحد منا أن يجريه في نفسه، لتنتقل هذه الأمة من التشرذم والتفرقة إلى الوحدة، ومن الحقد والكراهية إلى المحبة، ولكي يكون الواحد منا صادقاً مع نفسه بأنه كان جزءاً من الأزمة، ببعده عن الصلة بالله سبحانه وتعالى، وسوء تعامله مع أخيه المؤمن، فالدين المعاملة، وبسبب بعدنا بشكل كبير عن مكارم الأخلاق التي حث عليها ديننا، إذا أردنا أن ننتهي من هذه الأزمة فلا بد أن نتغير، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم﴾ [الأنفال: ٥٣].

وذكرنا أن الإنسان عندما يتغير في السلوك فهناك شرط عظيم وهو أن يتغير في التفكير، إذا تغير تفكيره يمكن أن يتغير سلوكه، وأما هؤلاء الناس الذين يقولون إننا حاولنا كثيراً التغيير ولم نستطع، شباباً وشابات، رجالاً ونساءً، يَلتزم الواحد منا بحسن صلته بالله وحسن معاملته مع الخلق وبالاستقامة أياماً قليلة، ثم يعود إلى ما كان عليه، فما هو السبب؟ هذا السؤال أجبنا عنه بأن التفكير عند الإنسان يَجب أن يكون مُتجدداً، فالإنسان يَعلم أنه يَعمل لآخرته وليس لدنياه، ولكنه في الواقع هو من أهل الدنيا فقط، ولا مانع من أن يكون الإنسان من أهل الدنيا والآخرة، ولكننا قلنا: لا بد أن يقف في يوم من الأيام عند مفترق طرق، تأمره نفسه بمخالفة شرعية أو بمعصية لله لا، بد أن يختار هل هو مع الله أم مع الشيطان؟ هل هو من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة؟ هل هو يعمل لدنياه أو يعمل لآخرته؟ وها هنا تكمن عظمة الإنسان المؤمن الذي يكون مع الله دائماً ولا يكون مع الشيطان، لأننا قلنا: إن الله حذرنا وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]

والواقع يقول: إن كثيراً من الناس اتخذوا الشيطان لهم صديقاً ولم يتخذوه لهم عدواً، ورأينا الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تحثُّ الإنسان المؤمن على أن يكون مع الله دائماً، وأن يترك الشيطان، وأن يترك نفسه الأمارة بالسوء، وأن يترك هواه المتبع، وهل بلية هذه الأمة إلا من هذه الثلاثة؟ وأضف عليها تآمر الغرب عليها من الشيطان ومن النفس الأمارة بالسوء والهوى المتبع، وهو إعجاب كل ذي رأي برأيه، وظنُّه أنه على الحق وربما يكون على الباطل، أضف عليها تلك المؤامرة الكونية على الشام، ولكن قلنا: إن أول المنازل في التغيير أن تكون مع الله وأن لا تكون مع الشيطان، كيف يكون للإنسان المؤمن أن يكون مع الله؟ وإذا كان الشيطان يسري من ابن آدم مسرى الدم، وإذا كان الشيطان يتحدى ويقول: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين﴾ [ص: ٨٢] ويتحدى ويقول: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِين﴾ [الأعراف: ١٧] يتحدى الشيطان بقوة، والإنسان المؤمن يقر بأن الشيطان ليس قصةً من الخيال، ليس أحلاماً في اليقظة، الشيطان حقيقة واقعية في حياتنا اليومية، هو وجنوده، فينبغي أن نكون في أحد الطريقين: إما مع الله أو مع الشيطان، ونكون مع الله عندما نَنتصر على الشيطان، كيف ننتصر على الشيطان؟

يُجيبنا سيدنا وحبيبنا مُحَمَّد ﷺ فيقول في الحديث الذي أخرجه الترمذي، عن سيدنا الحارث الأشعري، قال رسول الله ﷺ: ((لا يُحرز العبد نفسه من الشيطان إلا بذكر الله)).

الحديث الثاني: أخرجه أيضاً الترمذي عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَن قال إذا خرج من بيته: بِسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قيل له -أي قالت له الملائكة-: كفيت -يَعني همك، كفيت ما تطلب- ووقيت -أي من الشر- وتنحى عنه الشيطان)) هذا كلام رسول الله صلى

الله عليه وسلم ((كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان)) لماذا؟ لأنه ذكر الله عندما خرج من بيته.

الحديث الثالث: أخرجه مسلم في صحيحه، يقول فيه سيد الخلق مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم: ((إذا دخل المرء بيته فذكر الله قال الشيطان لأتباعه: لا مبيت لكم اليوم، فإذا أكل فذكر الله قال لهم: ولا عشاء لكم اليوم)) لا مبيت ولا عشاء، قال: ((فإذا نسي -أو فإذا لم يذكر الله- قال الشيطان لأتباعه: أدركتم المبيت والعشاء)) مِن أي شيء إذاً يفرُّ الشيطان منك؟ مِن ذكرك الكثير لله سبحانه وتعالى، أن تَكون أنت مع الله.

الحديث الرابع: أخرجه مسلم في صحيحه عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((من قال في اليوم مائة مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كان له عدل عشر رقاب -كأنه أعتق عشرة من الرقاب- ورفعه الله مئة درجة)) وفي رواية: ((كُتب له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً له من الشيطان -أي كانت حماية له من الشيطان- يومه ذلك حتى يمسي)) حتى يأتي المساء، فإذا أتى المساء فقالها كنت حرزاً وحماية له حتى يأتي الصباح، يقول رسول الله ﷺ: ((ولم يأتي أحدٌ بأفضل منه -من يفعل ذلك هذا من أفضل الأعمال عند الله- ولم يأتي أحدٌ بأفضل منه إلا رجل قال أكثر من ذلك)) زَاد على المائة، الشاهد وكانت له حرزاً من الشيطان.

الخامس: وهو قبل كل شيء كان يَنبغي أن نذكره أولاً قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

كَيف تكون مع الله وتنتصر على الشيطان؟ سؤال مهم، لأننا نرى الكثير من الناس اليوم صادقوا الشيطان في سلوكهم وأفعالهم وليس في أفكارهم، وهم يريدون أن يتخلصوا من بعدهم عن الله، وأن يأتوا إلى جنب الله، وأن تحسن معاملتهم بعضهم

مع بعض، فالدين المعاملة، وأن تحسن صلتهم بالله، وأن يتركوا المخالفات الشرعية والمعاصي والآثام، كل ذلك يتمناه الإنسان المؤمن الصادق:

الدرجة الأولى أو المرحلة الأولى في ذلك أن نذكر الله، وأن نكون مع الله، وكيف نَذكر الله وتكون مع الله؟ بالدعاء المستمر اليومي، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون﴾ [البقرة: ١٨٦] كَيف أدعو الله؟ الإمام النووي رضي الله عنه له كتاب اسمه: الأذكار، ذكر فيه كل الأدعية والآثار الواردة عن النبي ﷺ اليومية للإنسان المؤمن:

*إذا أراد أن ينام يقول: (باسمك اللهم وضعت جنبي وبك ربي أرفعه، اللهم إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين، باسمك اللهم أحيا وأموت).

*إذا أصبح يقول: (أصبحنا وأصبح الملك لله، لا إله إلا الله، الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، اللهم ما أصبح بنا من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك سبحانك، وما أمسى بنا من نعمةٍ أو من أحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك سبحانه).

*قبل أن يدخل الخلاء يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث).

*وبعد أن يخرج من الخلاء يقول: (يا رب غفرانك، الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني).

*حتى إذا أراد الدخول للمسجد وهو مكان العبادة يقول: (اللهم افتح لي أبواب رحمتك).

*وإذا خرج يقول: (اللهم إني أسألك من فضلك العظيم).

*إذا نظر في المرآة يقول: (اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي).

*قبل أن يبدأ بالطعام يقول: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللهم، بارك لنا في ما رزقتنا وزدنا خيراً منه، وقنا عذاب النار).

*فإذا شبع قال: (الحمد لله الذي أطعمنا هذا ورزقناه من غير حول منا ولا قوة، الحمد لله الذي أطعمنا وأشبعنا وأنعم علينا فأفضلَ.

*إذا ركب مركوباً كالسيارة يقول: (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

*إذا خرج من بيته يقول: (بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله) ويدعو بالمأثور الوارد عن الحبيب المصطفى ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزلَّ أو أُزلَّ، أو أظلم أو أُظلم، أو أجهل أو يُجهل علي، لا تكلني ربي لنفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك، وأصلح لي شأني كله، واجعلني من عبادك الراشدين).

*إذا كان مع أهله يقول: (اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا).

في كل مرفقٍ من مرافقِ حياتك يجب أن تكون مع الله، هل علمتم لماذا يدخل علينا الشيطان؟ لأننا لسنا مع الله، ونريد أن ننتهي من المخالفات الشرعية، ونحن لا نحفظ إلا جزءاً يسيراً من هذه الأدعية، نريد أن تحسن معاملاتنا بعضنا مع بعض، ونحن لسنا مع الله تعالى أن تكون مع الله في كل شيء، وأن تذكر الله عز وجل دائماً، هي الخطوة الأولى إذا أردت التغيير حقيقة وليس إذا أردت التغيير مجاملةً.

لكن الذكر المطلوب كيف؟ كَم هو؟ قال: يَجب أن نَعلم أن فرق ما بين المؤمن والمنافق الذكر الكثير لله تعالى، المنافقون قال الله عز وجل فيهم في سورة النساء: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاس﴾ رياء وسمعة يُصلون أمام الناس، والوصف الأخير للمنافقين في الآية: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢] إذا ذكرنا الله قليلاً فليس هذا من صفة المؤمنين، يَجب أن نكثر من ذكر الله، وحينها نكون مع الله، إذا أكثرت من

ذكر الله ولم تستطع التغلب على الشيطان وعلى نفسك الأمارة بالسوء وعلى الهوى المتبع الذي هو سبب بلاء هذه الأمة فَحِينها تعال وقل لي: أنا لم أستفد من ذكر الله كثيراً، ولكن أن لا نذكر الله وأن لا نكون مع الله لا بقلوبنا ولا بألسنتنا ولا بأفكارنا، ونريد أن نَتغير، كيف ستتغير يا أخي؟ الدليل:

قول الله تعالى -وكلكم يحفظ هذه الآية-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

في سورة الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

في سورة الحج: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠] مع الذكر.

في سورة الشعراء: ﴿والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُون * إلا الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعدِ مَا ظُلِمُوا﴾ إلى آخر الآية، [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧] وذكروا الله كثيراً.

في سورة الأحزاب: ﴿لَقَد كَانَ لَكُم في رَسُولِ اللهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرجُو اللهَ وَاليَومَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب:].

في سورة الأحزاب أيضاً -أصبحوا ثلاث آيات في سورة الأحزاب- ﴿والذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَغفِرَةً وَأَجراً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٣٥].

في سورة الجمعة -والكل يَحفظها-: ﴿فَإِذَا قُضِيَت الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا في الأَرضِ وَابتَغُوا مِن فَضلِ اللهِ وَاذكُرُوا اللهَ كَثِيراً﴾ [الجمعة: ١٠].

إِذَاً لا يُعتد بالذكر القليل، هو نافع وتأخذ أجره وثوابه، بدليل قول الله سبحانه: ﴿فَمَن يَعمَلْ مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَه * وَمَنْ يَعمَلْ مِثقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾ [الزلزلة: ٧-٨] تَأخذ منفعة، لكن لا ينفعك في التغير، لا ينفعك، لَن تَتغير طالما أنك بعيد عن الله، ولا تذكر الله إلا قليلاً لأنه مِن صفات المنافقين.

ولَنستمع إلى هذا الحديث عن حبيب قلوبنا سيدنا مُحَمَّد ﷺ، الحديث أخرجه الترمذي في سننه، عن سيدنا عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: جاء رجلان إلى النبي ﷺ، فقال أحدهما: يا رسول الله، أي الناس خير؟ -من أحسن شيء بالناس خير- أي الناس خير؟ فقال عليه الصلاة والسلام: ((من طال عمره وحسن عمله)) مَن أفضل الناس؟ حفظناها؟ مَن طال عمره وحسن عمله، قولوا آمين، اللهم اجعلنا ممن طال عمره وحسن عمله. وقال الآخر: يَا رسول الله، إن شرائع الاسلام قد كثرت علينا، -صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وكل يوم خمس صلوات، واستقامة، وصدق، وأمانة، كثرت علينا شرائع الإسلام وتعليمات الإسلام، قال: فامرني بأمر أتشبث به -دلني على شيء أتمسك به، فإذاً هو يَسأل عن شيء مع علمه بشرائع الإسلام، امرني بشيء أتشبث أتمسك به، فقال عليه الصلاة والسلام لهذا الرجل: ((لا يزال لسانك رطباً مِن ذكر الله)) مَا التوجيه النبوي؟ لا يَزال لسانك رطباً مِن ذكر الله، يَعني لا يَكفي أن تذكر الله قليلاً وبعد ذلك تَنسى الله، فنكون ممن قال الله فيهن: ﴿نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُم أَنفُسَهُم﴾ [الحشر: ١٩] لا، لا يزال لسانك رطباً مِن ذكر الله.

وأخرج الحاكم في مستدركه، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه، قال: عن سليم بن عامر رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى الصحابي الجليل أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، فقال: يا أبا أمامة، إني رأيتك في منامي أن الملائكة تُصلي عليك كلما دخلت وكلما خرجت، وكلما قمت وكلما جلست -رأيت في المنام الملائكة تصلي عليك- فقال سيدنا أبو أمامة -يتبرأ من نفسه، ويتواضع، ويَشعر بذل العبودية بين يدي الله سبحانه- ((اللهم غُفرانك يا رب))، -اغفر لي ما لا

يعلمون، واستر لي عيوبي، واستر عنهم ما لا يعلمون، إلى الحديث الذي ورد أن يقوله الإنسان إذا مدح- اللهم غفرانك، دعونا عنكم -لأنه مُدح- ((دعونا عنكم))، ثم التفت إلى الجالسين وقال: ((وأنتم لو شئتم لصلت عليكم الملائكة))، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣] هذه النتيجة إذا ذكرت الله كثيراً، هذه هي النتيجة، ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ ألا تريد أن تتغير؟ ألا تسعى إلى التغيير؟ نَخرج مِن ظُلمة المعصية إلى نور وضياء الطاعة، نخرج من بُعدنا عن الله إلى قربنا مع الله، من سوء تعاملنا مع بعضنا البعض إلى حسن التعامل، نخرج من هذا كله، الحل هو الذكر الكثير لله وليس القليل، أن تكون مع الله لا مع الشيطان، قال: وأنتم لو شئتم لصلت عليكم الملائكة، وقرأ لهم هذه الآية نتيجة الذكر الكثير، : ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

وأختم هذه الخطبة بهذه القصة الوجيزة: الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه خَرج من بغداد يوماً، فأدركته صلاة العشاء وهو مسافر في بلدة من البلدات -ذكر هذه القصة أبو الفرج ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد رضي الله تعالى عنهما، وأبو الفرج ابن الجوزي غير ابن القيم الجوزية، للبيان، أبو الفرج ابن الجوزي ذكر هذه القصة عن الإمام أحمد- فصلى العشاء وأدركه الليل وهو مسافر، صلى العشاء وصلى السنة، وأراد أن ينام في المسجد، فجاءه القيم على المسجد -أي الخادم للمسجد- قال له: ماذا تريد؟ قال: أريد أن أنام في المسجد، قال: اخرج من المسجد، قال: هذا الله بيت الله، قال: هذا بيت الله واخرج من المسجد، وكان فظاً غليظاً هذا الخادم، قال: فخرج وجلس على عتبة المسجد يُريد أن يَنام، قال: مَاذا تَفعل؟ أُريد أن أنام، وأصبحتُ في الطريق، قال: ابتعد عن عتبة المسجد، قَال: يا

أخي أنا في الطريق، قال: فَجره من رجله جراً وأبعده عن عتبة المسجد الخارجية، فَجَرَّهُ جَرَّاً من رجله للإمام أحمد، وأنتم تعلمون أن هناك لم يكن وسائل إعلام في زمانهم، الناس تَسمع، لكن لا يَعرفون أن هذا فلان وهذا فلان، لا يوجد وسائل إعلام، ولو علم أنه الإمام أحمد لما فعل معه ذلك، طيب لماذا لم يُخبره الإمام أحمد؟ سَلفنا الصالح ما كانوا يُحبون أن يَذكروا أنفسهم، ولا أن يَمدحوا أنفسهم، يَبتعدون عن المديح كما يبتعدون أحدنا الإنسان التقي عن شيء يُغضب الله سبحانه وتعالى، قال: فجرَّه من رجله جراً حتى أبعده عن عتبة المسجد، والخباز يَنظروا إلى ذلك كله، هُناك خباز فرن بجانب المسجد ينظر إلى ذلك الأمر، قال: فأشفق عليه الخباز قال له: هل تبيت عندي؟ قال: جزاك الله خيراً، فَدخل الإمام أحمد إلى دكان الخباز، قال: فوجد الخباز وهو يَعمل يَذكر الله عز وجل، لا يَفتر لسانه عن ذكر الله، وهو يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يَذكر الله، ولا يفتر لسانه، فقال الإمام أحمد لهذا الخباز: مُنذ متى وأنت على هذه الحالة؟ -مَا شاء الله أنت من الذاكرين كثيراً- منذ متى وأنت على هذه الحالة؟ فقال: منذ زمن، أيضاً لا يُريد الإنسان أن يَذكر طاعته لله، لأنه يفعلها لله، وليس كالمنافقين يُراؤون الناس، قال: مُنذ زمن، قال: ألا تمل؟ -ألا يَمل لسانك مِن هذا الذكر الدائم لله؟- قال: لا، لقد أصبح الذِّكر على لساني كالنَّفَس أتنَّفسه.

والنَّفس كالطفل إن تهمله شبَّ على *** حُبِّ الرضاع وإن تفطمه ينفطمِ

أنت كما تُعود نفسك تتعود هذا النفس، تعودها بشكل دائم على ذكر الله يُصبح الذكر كالنفس، حينها تتغير، قال: ألا تمل يا رجل؟ قال: لا، أصبح الذكر لي كالنَّفَس -يعني هو حياته لا يَستطيع العيش بدونه- فقال له: فَما وجدت مِن ثمرة كثرة ذكرك لله؟ -الإمام أحمد يَسأل الخباز، فما وجدت من ثمرة؟ قال: فما حَصَّلْتَ مِن ثمرة ذكرك الكثير لله؟- قال: والله يا أخي مَا دعوت الله تعالى بِشَيء

إلا استجيب لي –هذه هي ثمرة الذكر الكثير لله– ما دعوت الله تعالى بشيء إلا استجيب لي، فقال له الإمام أحمد: كل شيء كل شيء؟ قال: ما دعوته بشيء إلا استجاب لي سبحانه، إلا شيئاً واحداً، قال: وما هو؟ قال: دعوت الله أن أجتمع بالإمام أحمد ولم أجتمع به حتى الساعة، فقال له: الإمام أحمد ﷺ: قَال له: ذِكرك الكثير لله جَرَّ الإمام أحمد مِن قَدَمِهِ مِن باب المسجد إليك، لَو لم يَحصل هذا الأمر لما رآه هذا الخباز، قَال له: ذكرك الكثير لله جرني من قدمي عن باب المسجد، قال: أنا أحمد بن حنبل.

رضي الله عن سلفنا الصالح، كان الواحد منهم أمة في رجل.

يا أيها الإخوة المؤمنون: الله ﷻ يقول في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ أكملوا الآية، ما هي تتمة الآية: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨] كلُّ ما نراه من البغضاء ومن التنافر، ومن الفرقة ومن التجزئة، هو جَرَّاء بُعدنا عن الله عز وجل، وأننا صاحبنا الشيطان، وأخذتنا نفوسنا الأمارة بالسوء، وهوانا المتبع، أَضف إلى ذلك هذه المؤامرات الخارجية، وأصبحت أمة العروبة والإسلام على ما ترون، لا تَكاد تجد قتلاً ولا تهجيراً ولا عنفاً إلا في بلاد العرب والمسلمين، والواحد مِنَّا يَجد مِن الصعوبة أن يكون مع الله، وأن يذكر الله، كيف سننتهي من هذه الأزمة إذا كان الواحد منا عوض أن يكون مع الله يكون شيطاناً يمشي على الأرض؟ أَمر التغيير بأيدينا، فهل نحن مُستجيبون لأمر الله سبحانه؟

اذكروا الله ذكراً كثيراً.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يَغفر لكم، فيا فوز المستغفرين.

بتصرف